

أشدُّ الذنوب ما يُستهان بها المحقرات، الصغائر والإصرار عليها



محاور الموضوع

الهدف:

١. الذنب أذى.
٢. اجتناب الذنب شكرٌ على النعم.
٣. الاستهانة بالذنوب استهانة بالربِّ.
٤. الاستهانة بالذنوب إرضاء لإبليس.
٥. الصغائر مصائب.

تصدير:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «اتَّقُوا المحقرات من الذنوب، فإنَّ لها طالباً. لا يقولنَّ أحدكم: أذنبُ وأستغفر، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾»

سبحانه في طاعته، لوجب أن يُطاع رجاء رحمته⁽⁷⁾ ولولم يتوعد الله تعالى المذنبين النار والعذاب، لوجب عليهم تركها حتى لا يُسلبوا نعمة الهداية والأمن من المكر الإلهي.

- الاستهانة بالذنوب استهانة

بالربِّ:

إنَّ الاستخفاف بالذنوب واستصغارها استهانة بمن تجرئ عليه، وهو الله سبحانه. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تنظروا إلى صغر الذنب، ولكن انظروا إلى مَنْ اجترأتم»⁽⁸⁾. وعن الإمام الباقر عليه السلام: «اتَّقُوا المحقرات من الذنوب، فإنَّ لها طالباً»⁽⁹⁾ والمروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أوضح في هذا المجال. فعنه عليه السلام: «اتَّقُوا المحقرات من الذنوب، فإنَّ لها طالباً. لا يقولنَّ أحدكم: أذنبُ وأستغفر، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾»⁽¹⁰⁾.

الطعام، مخافة الأذى، كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار»⁽³⁾.

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «عجبتُ لمن يحتمي عن الطعام لمضرته ولا يحتمي من الذنب لمعزته»⁽⁴⁾ ومن ضرر الذنب، مهما كان صغيراً أو كبيراً، ذهاب شيء من العقل يفقده ولا يرجع أبداً. فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ قَارَنَ ذَنْباً فَارَقَهُ عقل لا يرجع إليه أبداً»⁽⁵⁾.

- اجتناب الذنب شكرٌ على

النعم:

ولولم يتوعد الله على الذنب والمعصية، لوجب تركهما ترفعاً، وقيل ذلك شكراً لله تعالى على نعمة، وتحزراً عن سوء أدب الاستفادة من الجوارح وقوى البدن بما فيه سخطه وعصيان أمره. فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لو لم يتوعد الله على معصيته، لكان يجب أن لا يُعصى شكراً لنعمته»⁽⁶⁾ وإن لم يفعل شكراً، فلينفع طلباً لرحمته تعالى. فعنه عليه السلام: «لو لم يرغب الله

- الذنب أذى:

الذنب هو المعصية والجرم الذي يجزّ على صاحبه الإثم والمؤاخذاة، ويجلب لنفسه الأذى والضرر. فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «الذنوب الداء، والدواء الاستغفار، والشفاء أن لا تعود»⁽¹⁾. لذلك، وجب على العقلاء أن يجتنبوه، ويرفعوا أنفسهم عن اقتراه، لأنَّه من الدنيا المحرّمة. فعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إنَّ العقلاء تركوا فضول الدنيا، فكيف الذنوب؟! وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الضر»⁽²⁾. أي إنَّ ترك الذنوب واجب، لأنها محرّمة، فاجتنابها للعاقل أولى.

ولذلك أيضاً، أوصى أطباء الروح بالاحتماء منها، كما أوصى أطباء الجسد بالاحتماء من الطعام والشراب الذي يضرُّ البدن، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «عجبتُ لأقوام يحتمون

(3) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني، ص304.

(4) البحار، ج78، ص159، ح10.

(5) المولى محسن المعروف بالفقيه الكاشاني

في المحجّة البيضاء، ج8، ص160.

(6) نهج البلاغة للشريف الرضي، باب الحكم

والمواعظ، الحكمة 290.

(1) غرر الحكم ودُرر الكلم للقاضي الأمدي، الحكمة 1890.

(2) بحار الأنوار، للعلامة الشيخ محمد باقر

المجلسي، ج78، ص301، ح1.

(7) غرر الحكم، الحكمة 7594.

(8) البحار، ج77، ص168، ح6.

(9) الكافي، للكلييني، ج2، ص270، ح10.

(10) سورة لقمان، الآية: 16. تفسير نور الثقلين

للحويزي، ج4، ص204، ح47.

يَتَحَصَّلُ مَعْنَا: أَنْ اسْتِهَانَةً بِالذَّنْبِ؛

1. هي استهانة بصاحب النعمة وصاحب الأمر.
2. أنها لا تخفى على الله مهما تكن صغيرة أو كبيرة.
3. أن الله يطلبها ولا يهملها.

- الاستهانة بالذنب إرضاء لإبليس؛

إنّ القيام بالمعصية مع الالتفات إليها وإلى لوازمها من سخط لله تعالى، وهي مورد فرح لإبليس الذي تحدّى العزّة الإلهية بعد أن رفض السجود لآدم ﷺ، من خلال ذريته. فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إن إبليس رضي منكم بالمحقرات»⁽¹⁾.

ويتمادى الإنسان بارتكاب المحقرات من الذنوب، وذلك، اعتماداً على بعض الحسنات التي يجنيها في سعيه لتحصيل رضا الله سبحانه وتعالى، حيث إنّ الحسنة بعشر والسبئية بواحدة، فقد قال عزّ من قائل: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ مِمَّا كَسَبَ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبِيئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِنْهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ»⁽²⁾.

فيفترّ المذنب، ولا يعلم أنّ الله سبحانه يطلبه بها، وذلك لأنّه أكل على عمله واستسهل المحقرات. فعن رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها ويعمل المحقرات حتى يأتي الله وهو عليه غضبان، وإن الرجل ليعمل السبئية فيفرق منها يأتي أمناً يوم القيامة»⁽³⁾ أي أنه يتكل على الحسنة، فيعمل المحقرات استهانة بها، فيغضب الله عليه. وهو من قبيل الأمن من مكر الله؛ وقد ورد عن الإمام زين

العابدين ﷺ في دعاء سحر شهر رمضان المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي قوله: «... لَسْتُ أَتَكَلُّ فِي النِّجَاةِ مِنْ عِقَابِكَ عَلَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِفَضْلِكَ عَلَيْنَا، لِأَنَّكَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، تَبَدَّى بِالْإِحْسَانِ نَعْمًا، وَتَعَفَوْا عَنِ الذَّنْبِ كَرَمًا...»⁽⁴⁾.

مما سقنا من الأحاديث والآيات الكريمة، نستخلص ما يلي:

1. إن إبليس اللعين يكتفي منا، في كيدته لربّه، بالمحقرات، فلا نُبلِّغُه نواله.
2. لا نعتدّن على أعمالنا في طلب نجاتنا عند ربنا.
3. لا تغرنا أعمالنا الصالحة، فنستهين ونرتكب من الذنوب ما ونحقره.

- الصغائر مصائب

الذنوب التي يراها مرتكبها صغيرة، إنما هي في الواقع، سبيل إلى الغفلة، وباب واسع من أبواب الندم والحسرة يوم القيامة. حيث إنّ استصغارها سبب للإصرار عليها، والإصرار عليها يجعلها عظيمة بعين ربّ العزّة والجلال. فعن أمير المؤمنين ﷺ: «أعظم الذنوب عند الله ذنب أصرّ عليه عامله»⁽⁵⁾.

وكما أنّ ارتكاب الذنوب مع الالتفات إليها من تسويلات إبليس اللعين، فإنّ تحقيرها واستصغارها من تزيينه أيضاً. ففي حديث عن الإمام موسى بن جعفر ﷺ، قال: «إنّ المسيح ﷺ قال للحواريين: إنّ صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس، يحقرها لكم، ويصفرها في أعينكم فتجتمع وتكثر، فتحيط بكم»⁽⁶⁾ فهذا حبل من حبال إبليس يربطه العبد المسكين حول

عنقه، وينقاد كالدابة وراءه. والمحقرات كذلك طريق إلى الكبائر، وإلى التماذي في الجرأة على ساحة العزّة الإلهية. فعن الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ، قال: «الصغائر من الذنوب طرّق إلى الكبائر، ومن لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير»⁽⁷⁾.

وعن أبيه الكاظم ﷺ: «لا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب، يجتمع حتى يكون كثيراً»⁽⁸⁾. ولذلك، سوف يظهر ذلك حسرةً وندامةً يوم القيامة عندما تعرض الأعمال. فعن رسول الله ﷺ: «يا بن مسعود، لا تحقرن ذنباً ولا تصغره، واجتنب الكبائر؛ فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً. يقول الله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ...»⁽⁹⁾.

عند ذلك يعلم المسكين أنّه أوقع نفسه في مصيبة عظيمة، لا ينجو سوى برحمة ربّه وشفاعة أوليائه. فعن الإمام الباقر ﷺ: «لا مصيبة كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي أنت عليها»⁽¹⁰⁾ ويعظم الندم عند المحقر للذنوب إذا علم أنها لا تغتفر، لأنه بسبب استخفافه بها، فإنه لا يتوب عنها، ما دامت الغفلة مهيمنة عليه. حيث ورد في الكافي الشريف عن زيد الشحام: «قال أبو عبد الله ﷺ: اتقوا المحقرات من الذنوب؛ فإنها لا تغفر. قلت: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير هذا»⁽¹¹⁾.

(7) البحار، ج 73، ص 353، ح 55.

(8) أمالي الشيخ المفيد، ص 157، ح 8.

(9) مكارم الأخلاق، ج 2، ص 35، ص 2660.

(10) تحف العقول، ص 286.

(11) الكافي، ج 2، ص 287، ح 1.

(4) كتاب "البلد الأمين"، للكفعمي، ص 290.

(5) غرر الحكم، ح 3131.

(6) تحف العقول، ص 392.

(1) البحار، ج 73، ص 363، ص 93.

(2) سورة الأنعام، الآية: 160.

(3) مكارم الأخلاق للطبرسي، ج 2، ص 367، ح 2661.